جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

٢

صفر - ١٤٣٨هـ

إشراف

إعــداد

اللجنة العلمية

الرسائل المهمة إلى دعاة الأمة المحمدية (٣)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وبعد،

فهذه من جملة الرسائل المهمة –لعموم الأمة– ولدعاتها خاصة، من أئمة الهُدى المتبعين سُبل سلفهم الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، ومنهم الإمام الحافظ عبيد الله بن محمد بن بطة رحمه الله (ت **٣٨٧**هـ) من كتابة الحافل بالمنهجية الأصيلة "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" المشهور بالإبانة الكبرى.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه المذكور. بعد حمد لله والثناء عليه، وعلى رسوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ: يَا إِخْوَانِي، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ غَلَبَةِ الْأَهْوَاءِ وَمُشَاحَنَةِ(١) الْآرَاءِ، وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ نُصْرَةِ الْخَطَأِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ غِيَرِ الزَّمَانِ(٢)، وَزَخَارِيفِ الشَّيْطَانِ(٣)، فَقَدْ كَثُرَ الْمُغْتَرُّونَ بِتَمْوِيهَاتِهَا، وَتَبَاهَى الزَّائِغُونَ وَالْجَاهِلُونَ بِلُبْسَةِ حُلَّتِهَا، فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ أَصَابَنَا مَا أَصَابَ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، وَحَلَّ الَّذِي حَذَّرَنَاهُ نَبِيُّنَا ﷺ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، وَتَرْكِ الْجَمَاعَةِ وَالِائْتِلَافِ، وَوَاقَعَ أَكْثَرُنَا الَّذِي عَنْهُ نُهِينَا، وَتَرَكَ الْجُمْهُورُ مِنَّا مَا بِهِ أُمِرْنَا، فَخَلَعَتْ لُبْسَةَ الْإِسْلَامِ، وَنَزَعَتْ حِلْيَةَ الْإِيمَانِ، وَانْكَشَفَ الْغِطَا، وَبَرَحَ الْخَفَا، فَعُبِدَتِ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْآرَاءُ، وَقَامَتْ سُوقُ الْفِتْنَةِ، وَانْتَشَرَتْ أَعْلَامُهَا، وَظَهَرَتِ الرِّدَّةُ، وَانْكَشَفَ قِنَاعُهَا، وَقُدِحَتْ زِنَادُ الزَّنْدَقَةِ فَاضْطَرَمَتْ نِيرَانُهَا، وَخُلِفَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي

---

(١) الشحناء: الحقد والعداوة والبغضاء (مختار الصحاح ص١٨٤، المعجم الوجيز ص **٣٣٧**) والمراد: صاحب البدعة المفارق لجماعة الأمة على طريق النبوة.

(٢) غِيَرُ الزَّمَانِ: أحداثه وأحواله المتغيرة (مختار ص **٢٦٥**، والمعجم ص **٤٥٨**).

(٣) زَخَارِيفِ الشَّيْطَانِ: الْمُزَخْرَفُ: الْمُزَيَّنُ، والزخرف من القول: حسنه بتزين الكذب. (مختار ص **١٥٣**، والمعجم ص **٢٧٨**).

أُمَّتِهِ بِأَقْبَحِ الْخَلَفِ، وَعَظُمَتِ الْبَلِيَّةُ، وَاشْتَدَّتِ الرَّزِيَّةُ وَظَهَرَ الْمُبْتَدِعُونَ، وَتَنَطَّعَ الْمُتَنَطِّعُونِ، وَانْتَشَرَتِ الْبِدَعُ، وَمَاتَ الْوَرَعُ، وَهُتِكَتْ سُجُفُ الْمُشَايَنَةِ(١)، وَشُهِرَ سَيْفُ الْمُحَاشَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمْرُهُمْ هَيِّنًا، وَحَدُّهُمْ لَيِّنًا وَذَاكَ حَتَّى كَانَ أَمْرُ الْأُمَّةِ مُجْتَمِعًا، وَالْقُلُوبُ مُتَآلِفَةً، وَالْأَئِمَّةُ عَادِلَةً، وَالسُّلْطَانُ قَاهِرًا، وَالْحَقُّ ظَاهِرًا، فَانْقَلَبَتِ الْأَعْيَانُ، وَانْعَكَسَ الزَّمَانُ، وَانْفَرَدَ كُلُّ قَوْمٍ بِبِدْعَتِهِمْ، وَحُزِّبَ الْأَحْزَابُ، وَخُولِفَ الْكِتَابُ، وَاتُّخِذَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ رُءُوسًا أَرْبَابًا، وَتَحَوَّلَتِ الْبِدْعَةُ إِلَى أَهْلِ الِاتِّفَاقِ، وَتَهَوَّكَ(٢) فِي الْعُسْرَةِ الْعَامَّةُ وَأَهْلُ الْأَسْوَاقِ، وَنَعَقَ(٣) إِبْلِيسُ بِأَوْلِيَائِهِ نَعْقَةً فَاسْتَجَابُوا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ مُسْرِعِينَ مِنْ كُلِّ قَاصِيَةٍ، فَأُلْبِسُوا شِيَعًا، وَمُيِّزُوا قِطَعًا، وَشَمَتَتْ بِهِمْ أَهْلُ الْأَدْيَانِ السَّالِفَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الْمُخَالِفَةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا عُقُوبَةٌ أَصَابَتِ الْقَوْمَ عِنْدَ تَرْكِهِمْ أَمْرَ اللَّهِ، وَصَدْفِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَمَيْلِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ، وَإِيثَارِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ، وَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُقُوبَاتٌ فِي خَلْقِهِ عِنْدَ تَرْكِ أَمْرِهِ، وَمُخَالَفَةِ رُسُلِهِ، فَأُشْعِلَتْ نِيرَانُ الْبِدَعِ فِي الدِّينِ، وَصَارُوا إِلَى سَبِيلِ الْمُخَالِفِينَ، فَأَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ، وَصِرْنَا فِي أَهْلِ الْعَصْرِ الَّذِينَ وَرَدَتْ فِيهِمُ الْأَخْبَارُ، وَرُوِيَتْ فِيهِمُ الْآثَارُ.

وذكر بإسناده من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً(٤) في افتراق الأمة على ثلاث وسبعين ملّة، كلها في النار إلا واحدة، وعلامتها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

---

(١) سُجُفُ الْمُشَايَنَةِ: السِجْفَ: السّتْر. و الشَّيْنِ: ضد الزَّيْنُ، الْعَيْبُ و الْقُبْحُ. (مختار ص ١٩٥، والمعجم ٣٧٥).

(٢) تَهَوَّكَ: تَحَيَّرَ (مختار ص ٣٧٧).

(٣) نَعَقَ: رفع صوته، صاح وناح (مختار ص ٣٥٩، والمعجم ص ٦٢٤).

(٤) حديث صحيح بطرقة وشواهده. وفيه بحث حديثي ذكرته في مطلع تحقيق كتابيّ "الإيمان" لأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي عبيد بن سلام –رحمهما الله– وهو تحت الطبع إن شاء الله.

وأتبعة بحديث شداد بن أوس مرفوعاً: لتركبن ما ركب أهل الكتاب... " وأتبعة بشاهده الصحيح من حديث أبي هريرة، وأصله في الصحيحين بسياق "لتتبعن سنن من قبلكم... ".

وقال رحمه الله: وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، لِيَعْلَمَ الْعُقَلاَءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَذَوُو الْآرَاءِ مِنَ الْمُمَيِّزِينَ أَنَّ أَخْبَارَ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ صَحَّتْ فِي أَهْلِ زَمَانِنَا، فَلْيَسْتَدِلُّوا بِصِحَّتِهَا عَلَى وَحْشَةِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ عَصْرِنَا، فَيَسْتَعْمِلُوا الْحَذَرَ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَيَلْزَمُونَ اللَّجَاءَ وَالِافْتِقَارَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِدِينِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ وَالْمُبَاعَدَةِ مِمَّنْ حَادَّ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَشَرَدَ شُرُودَ النَّادِّ الْمُغْتَلِمِ، وَأَنَا أَذْكُرُ أَيْضًا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَمَا يُضَاهِيهَا، وَمَا هُوَ فِي مَعَانِيهَا، لِتَكُونَ زِيَادَةً فِي بَصِيرَةِ الْمُسْتَبْصِرِينَ، وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَتَنْبِيهًا لِلْغَافِلِينَ.

هكذا ذكرتها شافية كافية من غير تعليق لوضوحها وضوح الشمس في رابعة النهار، لمن أراد أن يذَّكّر أو أراد شكوراً، وكأنه بيننا اليوم ونحن في طليعة سنة **١٤٣٨**هـ.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعلنا في ركابهم ركب العزة والقوة والسعادة.

كتبه
صبري محمد عبدالمجيد

المساجد وإصلاح المجتمعات

عناصر الخطبة

أهمية المسجد أدوار المسجد

واجبنا نحو المساجد وحقوقها علينا

كان المسجدُ وما يزالُ شعار الحياة في المجتمع الإسلامي؛ فهو المدرسةُ الأولى التي تخرَّجَ فيها الصحابةُ رضي الله عنهم، فكان لهم كبير الأثر في جميع المجالات العلمية والدعوية والقضائية والأدبية وغيرها؛ ذلك أن المسجد أدى دوره وقام برسالته التي جاء من أجلها؛ فلم يكن في عهود الإسلام الأولى دار صلاة فحسب، بل كان مع ذلك دار اجتماعٍ لكلِّ المسلمين، ومركزاً لإرسال السرايا والجيوش، ومنه ينطلقُ الدعاة إلى الله يجوبون الأرض يعلِّمون الناس الخير. (١)

أهمية المسجد

بيان مكانة المسجد:

إن المسجد في الإسلام له مكانة رفيعة وقدسية ليست لغيره من البقاع، ومما يدل على ذلك أنَّ المساجد:

١- هي خير بقاع الأرض وأحبُّها إلى الله: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **((أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا))**(٢)

قال النووي رحمه الله: لِأَنَّهَا بُيُوتُ الطَّاعَاتِ وَأَسَاسُهَا عَلَى التَّقْوَى، وَالْمَسَاجِدُ مَحَلُّ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَالْأَسْوَاقُ ضِدُّهَا. (٣)

---

(١) كيف نحيي رسالة المسجد شوقي عبد الله عبّاد

(٢) رواه مسلم (٦٧١)

(٣) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٧١)

٢- نَسَبَها الله عز وجل لنفسه تعظيماً لشأنها: قال تعالى{**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**} [الجن: ١٨]

فالله سبحانه وتعالى وهو مالك كل شيء نسب المساجد إليه وشرَّفها وعظمها بإضافتها إليه، فليست هي لأحد سواه، كما أن العبادة التي كلَّف الله عباده إياها لا يجوز أن تُصرف لسواه.

قال الشنقيطي رحمه الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: (لِلَّهِ) إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ. وَلِهَذَا مُنِعَتْ مِنَ اتِّخَاذِهَا لِأُمُورِ الدُّنْيَا مِنْ بَيْعٍ وَتِجَارَةٍ. (١)

وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ. (٢)

٣- حَثَّ الشارعُ على بنائِها وما ذلك إلا لأهميتها: فعن عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى - يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ - بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ))(٣)

٤- مدحَ اللهُ عُمَّارَها مادياً ومعنوياً: قال تعالى{ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** } [التوبة: ١٨]

قال ابن رجب رحمه الله: عمارةُ المساجدِ تكونُ بمعنيين: أحدُهما: عمارتُها الحسِّيَّة ببنائِها وإصلاحِها وترميمِها، وما أشْبَه ذلك. والثاني: عمارتُها المعنويّة بالصلاةِ فيها، وذكْرِ اللَّهِ وتلاوةِ كتابِهِ، ونشرِ العلم الذي أنزلَهُ على رسولِهِ، ونحو ذلك. وقد فُسِّرت الآيةُ بكلِّ واحدٍ من المعنيين، وفُسِّرتْ بهما جميعاً، والمعنى الثاني أخصُّ بها. (١)

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٣٢١)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٣١٨)

(٣) رواه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣)

وقال تعالى{**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**} [النور: ٣٦- ٣٨] أَيْ: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَفْعِهَا، أَيْ: بِتَطْهِيرِهَا مِنَ الدَّنَسِ وَاللَّغْوِ، وَالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تَلِيقُ فِيهَا، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. (٢)

٥- حذَّرَ الشرع مِن تعطيلها ومنع عمارتها: قال تعالى{**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [البقرة: ١١٤]

من أجل ذلك فإن النبي ﷺ قد بدأ ببناء المسجد عندما هاجر إلى المدينة وقدمه على غيره، ثم كان المسجد بعد ذلك محورًا لحياة المسلمين ومجتمعًا لهم كل يوم وليلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية واصفًا المساجد على عهد رسول الله ﷺ: وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد؛ فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر؛ وتعليم العلم والخطب. وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء. وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم. وكذلك عماله في: مثل مكة والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى وكذلك عماله على البوادي؛ فإن لهم مجمعا فيه يصلون وفيه يساسون. (٣)

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٤٩٠)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٦٢)

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٩).

أدوار المسجد

وإن دور المسجد في الإسلام لم يقتصر على إقامة الصلاة فقط، بل تعدى هذه الوظيفة الأساسية إلى وظائف أخرى على جانب كبير من الأهمية، وكان له أدوار اجتماعية وتربوية وتعليمية أسهمت في بناء هذه الأمة ونشر ذلك الدين، وكان من هذه الأدوار:

الدور الإيماني والتربوي للمسجد:

١) التربية الروحية: من المؤكد أن رسالة المسجد في الإسلام تتركز في الدرجة الأولى على التربية الروحية، لما لصلاة الجماعة، وقراءة القرآن الكريم من ثواب عظيم وأجر جزيل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ** ". (١)

٢) التعارف والأخوَّة الإسلامية: إن التعارف قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية، بل هو ضرورة من ضرورات التعامل بين الناس، فالجار يحتاج إلى جاره، ولا يمكن أن يتعامل معه إلا إذا تعارفا، وكل واحد من الناس قد يحتاج إلى غيره، فكيف يتعامل معه بدون تعارف بينهما؟ قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات: ١٣]

والمسجد كفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني لا ينسى، ذلك أن المصلين في الحي الواحد لا يلتقون في المسجد غالبًا إلا لأداء صلاة الفريضة، أما إذا كانت تربطهم حلقات الدرس في المسجد فإن لقاءهم يكون أكثر، وكذلك صلاة العيدين والجمعة وغيرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠)، ومسلم (٦٤٩).

٤) التفقه في الدين والإصلاح بين المتخاصمين كان رسول الله ﷺ يجلس في المسجد ويسأله أصحابه، ويجيبهم وفتاواه ﷺ وقضاؤه وإصلاحه بين المتخاصمين أمر مشهور.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبٍ: أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: **يَا كَعْبُ** قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا** وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **قُمْ فَاقْضِهِ**. (١)

٥) القضاء على الفواحش وانحسارها في مجتمع المسلمين (٢) عندما يكون للمسجد مكانته في المجتمع الإسلامي، ولا يتخلف المسلمون عن حضور صلاة الجماعة، يتمكن الإيمان من قلوبهم فيحبون الإيمان ويحبون الله ورسوله، والعمل الصالح، ويكرهون الكفر والفسوق والعصيان، وتنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر والبغي فلا يأتون إلا ما أراده الله منهم شرعًا.

قال تعالى: {**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**} [العنكبوت: ٤٥]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**} أخبر بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه، وذكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩)، ومسلم (١٥٥٨).

(٢) انظر: دور المسجد في التربية والإعداد (ص١١٧-١١٩).

يكد يفتر عن ذلك، حتى تظلله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة. (١)

الدور التعليمي والدعوي للمسجد:

لقد بدأ النبي ﷺ بتعليم أصحابه في مكة في المنازل، وخُصت دار الأرقم بن أبي الأرقم لتجمعهم، ولم يكن المسجد الحرام ينال حظه من التَّعليم والتزكية؛ لصد المشركين فيه رسول الله ﷺ وإيذائهم له، فكان يدعو فيه ويصبر على أذاهم، فلما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة، وبنى مسجده الشريف، وبنى حجرات نسائه بجانبه؛ ليكون قريبًا منه، فكان ينزل عليه الوحي في المسجد أو في بيته، وهو يتلوه على أصحابه في مسجده ويعلمهم معناه، كما كان يعلمهم الوحي الثاني، وهي السنة، وكان تعليمه لهم بالقول وبالفعل.

فكان مسجده ﷺ مقر تعليمِه الأمةَ قولًا وعملاً، وكان أصحابه يتحلقون حوله، ليسمعوا حديثه، فعن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بينما هو جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ. (٢)

وقد أثنى النبي ﷺ على من يتعلم في المسجد فقال: ". . **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**". (٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٣٤٧ - ٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦) ومسلم (٢١٧٦)

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

الدور التربوي للمسجد في تربية النشء

من واجب الأسر والمربين والمعلمين تعويد النشء على الارتباط بالمساجد وارتيادها لا سيما المميزين منهم؛ مع تعليمهم آداب المسجد، فقد كان الصبيان المميِّز منهم وغير المميِّز في عهد السلف يدخلون المسجد. . . ، ولا ينبغي تنفير الأولاد من بيوت الله بحجة أنهم مصدر إزعاج للمصلين، أو سبب لذهاب الخشوع في الصلاة؛ فهذه حجج واهية، وما وسع الصحابة ينبغي أن يسعنا، ومثل هذا الإزعاج إن صدر يمكن معالجته بأساليب صحيحة أخرى، غير الطرد من المسجد، فإن الطرد فيه مفاسد كثيرة، أولها بُغض الصبي للمسجد، ونفرته منه، لا سيما إذا كبر، وكفى بهذه مفسدة، والشارع الحكيم حرص على ترغيبهم في الصلاة بالمسجد لا تنفيرهم منه، بالإضافة إلى أن تعويدهم الحضور للمسجد، فيه فوائد أخرى عدا أداء الصلاة، ومن ذلك رؤيتهم منظر التلاحم بين المسلمين بمختلف فئاتهم، ولمسهم معالم التآخي بين المصلين، فينشؤون على مثل هذه المفاهيم، وإذا حضروا الجمعة تعلموا أدب الإنصات وحُسن الاستماع، هذا إذا كانوا غير مميِّزين، أما المميِّز منهم فإنه لا شك سيستفيد مما يسمع من خطبة أو محاضرة، وسيتعلم الأحكام الشرعية، والآداب الإسلامية، والتي سينقلها إلى أهل بيته لاحقًا؛ فإن الاستجابة في الناشئة أسرع منها في الكبار [١]

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوّده أبوهُ

ولا صحة للحديث المشهور على ألسنة العامة؛ فعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: "**جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَمَجَانِينَكُمْ**. . . . ". [٢]

---

(١) انظر: كيف نحيي رسالة المسجد؟ ، مقال لشوقي عبد الله عباد "مجلة البيان".

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٥٠)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٠٥٥)، والطبراني في الكبير (٨ / ١٣٢). من طرق عن واثلة بن الأسقع، وأَبِي الدَّرْدَاءِ، وأَبِي أُمَامَةَ ، وضعفه ابن الملقن في البدر المنير (٩ / ٥٦٥)، وابن حجر في التلخيص الحبير (٤ / ٤٥٧)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٣٦٢): إسناده ضعيف جدًّا.

وقد دل على جواز إدخال الصبيان المساجد الحديث الذي رواه الشيخان عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا. (١)

الدور الاجتماعي للمسجد:

إن للمسجد دوره الأساسي في تماسك المجتمع وتقوية الروابط الاجتماعية، هذا التماسك الذي يعتبر هدفًا مهمًا شُرعت من أجله بعض التشريعات لتقويته كتشريع التآخي بين المؤمنين، وجاءت الكثير من الآداب والسنن لتعلم المسلم كيف يتعامل مع أخيه بشكل يضمن سلامة وقوة هذا التماسك، ودور المسجد في هذا الإطار واضح جدًا خصوصًا مع ملاحظة صلاة الجماعة فيه، والتي يعني الالتزام بها اجتماع المؤمنين خمس مرات في اليوم والليلة. ففيه يجتمع المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة.

ولمَّا كان من طبيعة المسجد أن المسلمين يلتقون فيه مرات عديدة في اليوم والليلة؛ فإن المشكلات والحاجات الاجتماعية على اختلاف أنواعها تظهر للناس بما يدعوهم إلى إيجاد حلول لها تدفعهم إلى ذلك روح التوادّ والتراحم التي أخبر عنها رسول الله ﷺ حين قال: **تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى.** (٢)

ومن أمثلة هذه المشكلات مشكلة الفقر ومعالجته من قبل المجتمع المسلم وإشاعة التعفف لدى الفقراء وحثهم على طلب الرزق، فقد أنزل الله في أهل الصفة قوله: **(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا)** [البقرة: ٢٧٣]. فكان

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٠)، ومسلم (٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

المسجد متكفلاً بهم مراعيًا لهم، لا يألو جهدًا ولو بالقليل في إطعامهم وإدخال السرور عليهم، " **فَإِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا** ". (١)

ومن حديث الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلاَلًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، **إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** [النساء: ١]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** [الحشر: ١٨]. **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ". (٢)

الدور القضائي للمسجد:

لقد كان النبي ﷺ يفصل بين الخصومات ويقضى بين المتخاصمين في مسجده ﷺ ومضى الحال على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين من بعده.

بوب البخاري في صحيحه: (باب من قضى ولاعن في المسجد). (٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (١٣ / ١٥٤).

ثم قال: ولاعن عمر عند منبر النبي ﷺ، وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد، وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين عند المنبر، وكان الحسن وزرارة بن أوفى يقضيان في الرحبة خارجًا من المسجد، ثم قال: باب من حكم في المسجد.

وقد مضت سنة النبي ﷺ بالقضاء في المسجد ومن ذلك:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعًا قَالَ: **أَبِكَ جُنُونٌ؟** ، قَالَ: لاَ، قَالَ: **اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ.** (١).

ولقد كان المسجد على عهد النبي ﷺ مكانًا للإصلاح بين المتخاصمين

فمن حديث كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: **يَا كَعْبُ** قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا** وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **قُمْ فَاقْضِهِ.** (٢)

واجبنا نحو المساجد وحقوقها علينا:

إن إحياء رسالة المسجد واجب علينا جميعًا، كُلٌّ على حسب مجاله وتخصصه

ومن هذه الواجبات تجاه المسجد:

أولا: صيانة المساجد عن الأذى والقذر وتعهدها بالحفظ والرعاية وعدم إهانتها بقول أو فعل أو إقرار كما علمنا رسول الله ﷺ فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ** فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (١٥٥٨).

رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. (١)

قال النووي: يحرم البول والفصد والحجامة في المسجد في غير إناء، ويكره الفصد والحجامة فيه في إناء ولا يحرم، وفي تحريم البول في إناء في المسجد وجهان: أصحهما يحرم. (٢)

ويدخل في ذلك إلقاء النجاسات والقاذورات المختلفة، بل ومما تكرهه النفوس كتقليم الأظفار وحلق الشعر وطرح المخلفات وغيرها.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ، وَتُطَيَّبَ. (٣)

ثانيا: صيانة المساجد عما يؤذى الناس ومن ذلك:

أ- تصان المساجد عن البزاق والنخامة فيها؛ لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا.** (٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: **مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟ فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ قَدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا** وَوَصَفَ الْقَاسِمُ، فَتَفَلَ فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. (٥)

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٩)، ومسلم (٢٨٥) واللفظ لمسلم.

(٢)المجموع شرح المهذب (٢/ ١٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٥)، والترمذي (٥٩٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٥٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٥٥٠).

ب ـ أن تصان عن أن يدخلها من أكل ثومًا أو بصلاً أو ما في معناهما مما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها، أو يتعاطى شرب الدخان، أو كان قذر الثياب منتن الرائحة؛ لأنه يؤذي إخوانه المسلمين بما يصدر منه من روائح مستقذرة لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ - وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ** ". (١)

ومن باب أولى في هذا الزمان هذه الآفة والتي مما عمت بها البلوى دخول المدخنين المساجد برائحة كريهة حاملين لهذا الخبث دون استحياء من الله.

جـ ـ الاحتراز عند دخول المساجد بشيء قد يؤذي الناس من سلاح ونحوه، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " **إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا، - أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ -، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ** ". (٢)

وأما إقراره ﷺ الحبشة على لعبهم بالحراب والسيوف في المسجد يوم العيد فهو مخصوص بما أقره ﷺ من جهة التدريب على الحرب، والتمرين فيه والتنشيط عليه، فهو من باب المندوب، ويلتحق به ما في معناه من الأسباب والوسائل المعينة على الجهاد وأنواع البر. (٣)

د- أن تصان عن رفع الأصوات فيها، فمن طبيعة المساجد أنها دار للعبادة والتقرب إلى الله عز وجل وهذا يتطلب جوًا من الخشوع والهدوء لا يناسبه أن يرفع الناس أصواتهم، ويتأكد المنع إذا كان في رفع الصوت تشويش على المصلين وشغل لهم عن العبادة والخشوع فيها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **لِيَلِنِي مِنكُمْ، أُولُو الْأَحْلاَمِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٦٤)، ومسلم (٢٦١٥).

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد، للزركشي (ص٣٥٥).

وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ. (١)

وعن السائب بن يزيد قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ. (٢)

قال ابن رجب: ورفع الأصوات في المسجد على وجهين:

أحدهما: أن يكون بذكر الله وقراءة القرآن والمواعظ وتعليم العلم وتعليمه، فما كان من ذلك لحاجة عموم أهل المسجد إليه، مثل الأذان والإقامة وقراءة الإمام في الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة، فهذا كله حسن مأمور به. . . وما لا حاجة إلى الجهر فيه، فإن كان فيه أذى لغيره ممن يشتغل بالطاعات كمن يصلي لنفسه ويجهر بقراءته، حتى يغلط من يقرأ إلى جانبه أن يصلي، فإنه منهي عنه.

الوجه الثاني: رفع الصوت بالاختصام ونحوه من أمور الدنيا، فهذا هو الذي نهى عنه عمر وغيره من الصحابة. (٣)

ومن ذلك أيضا إصدار النغمات الموسيقية أو الأغاني عبر الهواتف المحمولة وغيرها من الأمور التي تحرم في كل مكان فضلاً عن المساجد

فهذا هو المسجد وهذه هي وظيفته فاعرفوا دوره وانهلوا من عطاءه يكن لكم أوفر الحظ والنصيب بإذن الله جلا وعلا.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٢). ومعنى هيشات الأسواق: اختلاطها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٣٩٧- ٣٩٩).

الأمنيات بين الممنوع والمشروع

عناصر الخطبة

تعريف الأمنيات الأمنيات بين المشروع والممنوع

الأسباب التي تعين المرء على إدراك ما يتمنى

لِلْمَرْءِ مَعَ نَفْسِهِ أَسْرَارٌ وَأُمْنِيَاتٌ، وَتَطَلُّعٌ وَطُمُوحَاتٌ، فَمَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَقَدْ طَافَ فِي هَاجِسِهِ أَلْوَانٌ مِنَ الأَمَانِي، تَخْتَلِفُ صُوَرُهَا بِاخْتِلاَفِ أَهْلِهَا وَأَحْوَالِهِمْ. . . فَالحَدِيثُ عَن الأمنياتِ هُوَ فِي الحَقِيقَةِ حَدِيثٌ عَنِ الحَيَاةِ، حَدِيثٌ عَنْ وَاقِعٍ لَيْسَ بِخَيَالٍ، فَالمَرِيضُ يَتَمَنَّى الصِّحَّةَ، وَالفَقِيرُ يَتَمَنَّى الغِنَى، وَالطَّالِبُ يَطْمَحُ لِلشَّهَادَةِ وَالوَظِيفَةِ بَعْدَهَا، هَذَا يَتَطَلَّعُ لِلْمَسْكَنِ الوَاسِعِ، وَذَاكَ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِالمَرْكَبِ الفَاخِرِ، وَآخَرُ تَمْتَدُّ عَيْنُهُ لِلْمَنْصِبِ العَالِي.

أَمَانِيُّ وَأَمَانِيُّ لَا تَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا، وَهُمْ فِيهَا مَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ؛ مُسْتَقِلٌّ لَا يَقْنَعُ، وَمُسْتَكْثِرٌ لَا يَشْبَعُ، **عن جَابِر بن عبد الله** رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ نَخْلٍ تَمَنَّى مِثْلَهُ، ثُمَّ تَمَنَّى مِثْلَهُ، حَتَّى يَتَمَنَّى أَوْدِيَةً، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ**)). (١)

عن عبد الله بْن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلاَ يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ)). (٢)

وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا المَوْضُوعِ أَفْرَدَهُ عُلَمَاؤُنَا بِالتَّأْلِيفِ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ كِتَابَ التَّمَنِّي فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ فقد ذكر فيه ما يشفي ويكفي.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٣٦)

(٢) رواه البخاري (٦٤٣٨)

فَبِالْأَمَانِي تَتَسَلَّى النُّفُوسُ، وَتَتَحَفَّزُ الهِمَمُ، وَيُبْنَى التَّفَاؤُلُ، وَيُصْنَعُ الأَمَلُ.

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْآمَالِ أَرْقُبُهَا ... مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الأَمَلِ

المحور الأول: تعريف الأماني والفرق بين التمني والترجي

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّمَنِّي إِرَادَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ فَإِنْ كَانَتْ فِي خَيْرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِحَسَدٍ فَهِيَ مَطْلُوبَةٌ وَإِلَّا فَهِيَ مَذْمُومَةٌ، وبَيْنَ التَّمَنِّي وَالتَّرَجِّي عُمُومًا وَخُصُوصًا فَالتَّرَجِّي فِي الْمُمْكِنِ وَالتَّمَنِّي فِي أَعَمِّ مِنْ ذَلِكَ. (١)

- مستودع الأمنيات

والقَلْبُ مُسْتَوْدَعُ الأَمَانِي، فَبِسَلامَتِهِ أَوْ مَرَضِهِ تَصْلُحُ الأَمَانِيُّ أَوْ تَفْسُدُ؛ وَفِي الحَدِيثِ: ((وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى)). (٢)

قال مَالِك بْن دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْأَبْرَارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْفُجُورِ، وَاللَّهُ يَرَى هُمُومَكُمْ فَانْظُرُوا مَا هُمُومُكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ. (٣)

- الأَمَانِيّ سِلَاح ذو حَدَّين

فَإِنْ تَمَنَّى العَبْدُ الخَيْرَ وَالمَعْرُوفَ، فَهِيَ حَسَنَاتٌ صَالِحَاتٌ، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْهَا جَوَارِحُهُ، وَإِنْ تَمَنَّى الإِثْمَ وَالسُّوءَ فَهِيَ أَوْزَارٌ فِي صَحِيفَتِهِ وَشَقَاءٌ لَمْ يَعْمَلْهُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا وَذَاكَ حديث **أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، وَذَكَرَ مِنْهُمْ: وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ (أي من الخير) فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. . . . . وَعَبْدٍ لَمْ

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢١٧)

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الهم والحزن لابن أبي الدنيا (ص: ٧٦)

يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ (أي من السوء) فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)). (١)

ويُسْتَحَبُّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ تَمَنِّي الصَّالِحَاتِ معَ السَّعْيَ في تحصيلها، فَكَرَمُ رَبِّهِ خَيْرٌ وَفضله لا حدَّ له، **فعَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَكْثِرْ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)). (٢)

قال ابن بطال: وقد تمنى الصالحون ما يمكن كونه وما لا يمكن حرصًا منهم على الخير. (٣)

المحور الثاني: الأمنيات بين المشروع والممنوع

الأماني منها المشروع ومنها الممنوع وكلٌّ بحسبه

أولاً: أمنيات ممنوعة شرعًا

هناك أُمْنِيَاتٌ مَحْظُورَةٌ نَهَى عَنْهَا الشَّرْعُ، فَوَاجِبٌ إغلاق القُلُوبِ دُونَهَا؛ حَتَّى لَا تَتَسَرَّبَ إِلَى ذاتِ الصُّدُورِ، ومِنْ هَذِهِ الأَمَانِيِّ:

١ـ تمني الموت إلا لخوف فتنة في الدِّين

فَهَذَا مِمَّا نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ كما **في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي)). (٤)

وعلل النهي في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ)). (١)

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٣١) والترمذي (٢٣٢٥) وغيرهما وهو صحيح بطرقه وشواهده وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٨١)

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٤٩٧) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٦٦)

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٨٧)

(٤) رواه البخاري (٥٦٧١) ومسلم (٢٦٨٠)

٢ـ تمني لقاء الأعْداءِ

عن عَبْد اللَّهِ بْن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا. . .)). (٢)

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: لأَن تمني لِقَاء الْعَدو يتَضَمَّن أَمريْن: أَحدهمَا: استدعاء الْبلاَء. وَالثَّانِي: ادِّعَاء الصَّبْر، وَمَا يدْرِي الْإِنْسَان كَيفَ يكون صبره على الْبلاَء. (٣)

٣ـ تمنى زوالِ النِّعْمةِ عن الغيْر

وهذه صِفَةٌ مذمومة، ذَمَّهَا القُرْآنُ، وَنَهَى عَنْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا من خِصَالُ اليَهُود؛ قال تعالى { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}[النساء: **٥٤**] **وقال سبحانه** { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: **١٠٩**].

وقال تعالى مخاطبا أهل الإيمان: { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: **٣٢**]

نَزَلَتْ هذه الآية فِي النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّي مَا لِفُلاَنٍ، أن يقول الرَّجُلُ: لَيْتَ لَوْ أَنَّ لِي مَالَ فُلاَنٍ وَأَهْلَهُ! فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَسْأَلُ اللَّهَ مَنْ فَضْلِهِ.

وَكذلك نزلتْ فِي تَمَنِّي النِّسَاءِ أَنْ يَكُنَّ رِجَالًا فَيَغْزُونَ. (٤)

ثانيا: أمنيات أثنى عليها الشرع

هذه أُمْنِيَاتٌ أُخْرَى أَثْنَى عَلَيْهَا الشَّرْعُ، فَامْتِثَالُهَا وَالسَّعْيُ لِبُلُوغِهَا مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ

---

(١) رواه البخاري (٧٢٣٥)

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤٢)

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٢٩)

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٧)

المُؤَكَّدَةِ من هذه الأُمنيات:

١- تمني الشهادة في سبيل الله

وقد تمنى ذلك إمام الشجعان ﷺ، فعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ)). (١)

فقد كَانَ ﷺ يتَمَنَّى من أَفعَال الْخَيْر مَا يعلم أَنه لَا يُعطاه، حرصاً مِنْهُ على الْوُصُول إِلَى أَعلَى دَرَجَات الشَّاكِرِينَ، وبذلاً لنَفسِهِ فِي مرضاة ربه، وإعلاء كلمة دينه، ورغبته فِي الازدياد من ثَوَاب ربه، ولتتأسي بِهِ أمته فِي ذَلِك، وَقد يُثَاب الْمَرْء على نِيَّته. (٢)

٢- تمني تعلم القرآن والقيام بحقه وبذل الوسع في تحصيل ذلك

من الأمنياتِ المستحبَّةِ أن يتمنى المرءُ أن يكون من أهلِ القرآنِ ليحيا به آناءَ الليل والنهار، أو يكون من أهلِ الثراء، ليبذلَ نعمةَ المالِ في وجوه البرِ والإحسان، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ)). (٣)

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَسَدُ قِسْمَانِ حَقِيقِيٌّ وَمَجَازِيٌّ:

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٧)

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤/ ٩٦)

(٣) رواه البخاري (٥٠٢٦)

فَالْحَقِيقِيُّ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْ صَاحِبِهَا وَهَذَا حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ مَعَ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ **وَأَمَّا الْمَجَازِيُّ** فَهُوَ الْغِبْطَةُ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَ النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَانَتْ مُبَاحَةً وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ. (١)

٣- تمني الغنى وسعة العيش

ومن الأماني المشروعة: أن يتمنى المسلمُ الغنى فراراً من الفقر، فمع الغنى تكون الصدقة، ويكون البذل، يُسْأَل النبيُّ ﷺ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: ((أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ)). (٢)

٤- تمني الخير والهداية للناس

ومن الأماني المستحبة: أن يتمنى العبدُ هدايةَ الناسِ وحصولَ الخيرِ لهم، ولَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ خَبَرَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى، نَاصِحًا لِقَوْمِهِ، مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ، يُنَادِيهِمْ: { يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [يس: ٢٠، ٢١]

فَلَمَّا قَتَلَهُ قَوْمُهُ وَأَكْرَمَهُ رَبُّهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ مُتَمَنِّيًا حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ: { يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ } [يس: ٢٦، ٢٧]

وكان من هذه الأمة من حاله كذلك فقد قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: وَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَإِنَّ لَحْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي عَمِلْتُ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَعَمِلْتُمْ بِهِ،

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٧)

(٢) رواه البخاري (١٤١٩) ومسلم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَكُلَّمَا عَمِلْتُ فِيكُمْ بِسُنَّةٍ، وَقَعَ مِنِّي عُضْوٌ حَتَّى يَكُونَ آخَرَ شَيْءٍ مِنْهَا خُرُوجُ نَفْسِي. (١)

المحور الثالث: الأسباب التي تعين المرء على إدراك ما يتمنى

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنىَّ المَرْءُ يُدْرِكُهُ تَأْتِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ

فَقَدْ يَتَمَنَّى العَبْدُ أُمْنِيَاتٍ وَأُمْنِيَاتٍ لَا يَبْلُغُهُنَّ، لَكِنْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ تُعِينُ عَلَى بُلُوغِ الأَمَانِي، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا؛ سَوَاءٌ أَكَانَتْ هَذِهِ الأُمْنِيَاتُ دُنْيَوِيَّة، أَمْ مِمَّا يُرَادُ بِهِ ثَوَابَ الآخِرَةِ.

فَمِنَ الأسباب المُعِينَةِ عَلَى إِدْرَاكِ الأُمْنِيَاتِ:

أول الأسباب: طلب العون من الله والتبرؤ من الحول والقوة

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى. . . فأول ما يجني عليه اجتهاده

قال الله تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

وعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا. . . وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا. . . وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا. . . إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. (٢)

وأوصى النبيُّ ﷺ معاذَ بن جبل رضي الله عنه أن يقول في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ: ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). (١)

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٣)

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٤) ومسلم (١٨٠٢)

السبب الثاني: الهمة العالية والعزيمة الصادقة

فلابد أَنْ يَكُونَ المَرْءُ جَادًّا فِي تَحْقِيقِ مَا تَمَنَّى، عَازِمًا لِلْوُصُولِ إِلَى هَدَفِهِ، فصاحب الهمة العالية والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الزاكية التي لا تفنى ولا يرجع عن مطلوبه ولو تلفت نفسه في طلبه، ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه. (٢)

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لدُكين لما جاءه: يا دُكين، إن لي نفسًا توَّاقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نِلتها تاقت إلى الجنة. (٣)

السبب الثالث: الصبر وطول النفس

قال تعالى: { وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } [القصص: ٨٠]

وقال سبحانه: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ((واعلم أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)). (٤)

فلابد مِنَ الصَّبْرِ وَالإِصْرَارِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ حَتَّى يَبْلُغَ المَرْءُ مُنَاهُ.

وَإِذَا تَحَلَّى العَبْدُ بِالجِدِّ وَالعَزْمِ، وَتَدَثَّرَ بِالصَّبْرِ وَالإِصْرَارِ، وَصَلَ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ إِلَى مُبْتَغَاهُ.

السبب الرابع: أن يستحضر ما يتمناه أهل السعادة في الجنة ليعمل بعملهم ويسلك طريقهم

- فَأَقَلُّ أَهْلِ السَّعَادَةِ مَنْزِلَةً هُوَ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، يَدْخُلُ الجَنَّةَ وَقَدْ فُتحت لَهُ وَتَزَيَّنَتْ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى العَبْدُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ لَهُ: ((ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ)). (١)

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٥٣)

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤٤)

(٣) عيون الأخبار (١/ ٣٣٤)

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١١٥١)

- وَصِنْفٌ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ للهِ، فَوَدَّعُوا دُنْيَاهُمْ شَهَادَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَرَوْنَ مِنَ الكَرَامَةِ وَحُسْنِ الحَفَاوَةِ مِنْ مَلاَئِكَةِ الرَّحْمَنِ مَا يَجْعَلُهُمْ يَتَمَنَّوْنَ وَيَتَمَنَّوْنَ، يَتَمَنَّوْنَ مَاذَا؟ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ تُرَدَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، حَتَّى يُقْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَرَّةً أُخْرَى، **عن أَنَس بْن مَالِكٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ)). (٢)

السبب الخامس: أن يتذكر ما يتمناه أهل الشقاء في الآخرة ليحذر من حالهم

- إِذَا رَأَى كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَلَهُ وَمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ يوم القيامة، قَالَ الكَافِرُ وتمنى أن يكون ترابا قال تعالى: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: ٤٠]

- وَصِنْفٌ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ يَتَحَسَّرُ عَلَى الصحبة التي لَمْ تُبْنَ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ، فَيُنَادِي: { يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً } [الفرقان: ٢٨].

- وَحِينَ يَرَى أَهْلُ الشَّقَاءِ العَذَابَ رَأْيَ العَيْنِ يَتَمَنَّوْنَ؛ { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ٢٧].

- حَتَّى إِذَا دَخَلُوا دَارَ الشَّقَاءِ وَالبُؤْسِ وَالنَّكَالِ، وَذَاقُوا مَسَّ سَقَرٍ، تَمَنَّوْا حِينَهَا؛ { يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا } [الأحزاب: ٦٦] إِنَّهَا زَفَرَاتٌ وَحَسَرَاتٌ وَأُمْنِيَاتٌ، وَلَكِنْ لا تنفع حين ذلك الحسرات ولا تُدرك الأمنيات {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ: ٥٤]

السبب السادس: النظر في أمنيات أسلافنا الصالحين والتأسي بهم

حِينَ نُقَلِّبُ سِيَرَ سَلَفِنَا وَصَالِحِي أُمَّتِنَا، نَرَاهُمْ قَدْ تَمَنَّوْا وَحَدَّثُوا غَيْرَهُمْ بِمَا يَدُورُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الطُّمُوحَاتِ وَالتَّطَلُّعَاتِ، فَهذه فِي أَخْبَارِهِمْ مَعَ الأَمَانِيِّ.

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري (٢٨١٧) ومسلم (١٨٧٧)

هَذَا رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ يَتَمَنَّى مُرَافَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ((فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)). (١)

وَأَمَّا فَارُوقُ الأُمَّةِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَدْ اجْتَمَعَ بِأَصْحَابِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُمْ: تَمَنَّوْا؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ: تَمَنَّوْا؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ لُؤْلُؤًا وَجَوْهَرًا أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَلَكِنِّي أَتَمَنَّى رِجَالًا مِلْءَ هَذِهِ الدَّارِ مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، أَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ. (٢)

فأصحاب النفوس الكبيرة يتمنَّون بعقولهم وبإيمانهم وليس بشهواتهم.

وَداخلِ الحِجْرِ يَجْتَمِعُ صَحَابِيَّانِ وَتَابِعِيَّانِ: عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالُوا تَمَنَّوْا؟ قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى الخِلاَفَةَ، وَقَالَ عُرْوَةُ أَخُوهُ: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى أَنْ يُؤْخَذَ عَنِّي العِلْمُ، وَقَالَ الأَخُ الثَّالِثُ مُصْعَبٌ: وَأَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى إِمَارَةَ العِرَاقِ، وَالجَمْعَ بَيْنَ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ وَسُكَيْنَةَ بِنْتِ الحُسَيْنِ، وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: وَأَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى مَغْفِرَةَ اللهِ.

وَبِصِدْقِ عَزِيمَةِ هَؤُلَاءِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِمْ، تَقَلَّدَ عَبْدُاللهِ بْنُ الزُّبَيرِ الخِلاَفَةَ، وَأَخِذَ عَنْ عُرْوَةَ العِلْمُ حَتَّى عُدَّ فِي الفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، وَتَوَلَّى مُصْعَبٌ إِمَارَةَ العِرَاقِ، وَتَزَوَّجَ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الحُسَيْنِ، وَبَقِيَتْ أُمْنِيَةُ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ يَنْتَظِرُهَا عِنْدَ رَبِّهِ تَعَالَى.

قال الذهبي رحمه الله: فَنَالُوا مَا تَمَنَّوْا، وَلَعَلَّ ابْنَ عُمَرَ قَدْ غُفِرَ لَهُ. (٣)

---

(١) رواه مسلم (٤٨٩)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥٢) مناقب أبي عبيدة ، وإسناد رجاله ثقات غير أن عبد الله بن أبي نجيح المكي لم يدرك عمر وليس له رواية عن أحد من الصحابة.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤١)

وقال الرَّبِيع بن سليمان سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنَّ الْخَلْقَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ حَرْفٌ مِنْهُ. (١)

ـ وأخيرا تذكر فجأة الموت وما للأموات من أمنيات

نَعَمْ يَتَمَنَّى الأَمْوَاتُ أُمْنِيَاتٍ، وَلَكِنَّهَا أُمْنِيَاتٌ مَنْسِيَّةٌ وَرَغَبَاتٌ غَيْرُ مَقْضِيَّةٍ.

فَأَوَّلُ مَا يَتَمَنَّاهُ المَوْتَى هُوَ الرُّجُوعُ إِلَى الدُّنْيَا، لَا لِيَسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَلَا لِيُزَاحِمُوا عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا لِيَعْمَلُوا فِيهَا صَالِحًا؛ {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

وَمِنْ أَعْظَمِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي يَتَمَنَّاهَا المَوْتَى هَذِهِ الصَّلاَةُ، الَّتِي طَالَمَا قَصَّرْنَا فِي أَدَائِهَا، وَفَرَّطْنَا كَثِيرًا فِي نَوَافِلِهَا. **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرٍ دُفِنَ حَدِيثًا فَقَالَ: ((رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفِلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ)). (٢)

- وَمِمَّا يَتَمَنَّاهُ الأَمْوَاتُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ: الصَّدَقَةُ، تِلْكَ الحَسَنَةُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ بِمُضَاعَفَتِهَا أَضْعَافًا كَثِيرَةً؛ **يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١٠، ١١]

فَيَا مَنْ يَمْلِكُ نِعْمَةَ الحَيَاةِ، هَذَا خَبَرُ مَنْ سَبَقَكَ لِكَأْسِ المَنُونِ، هَا أَنْتَ فِي زَمَنِ الإِمْهَالِ، وَدَارِ العَمَلِ الَّتِي يَتَمَنَّاهَا غَيْرُكَ، فَالغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، اغْتَنِمْ صِحَّتَكَ وَفَرَاغَكَ فِيمَا تَبْنِيهِ غَدًا هُنَاكَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الغَافِلِينَ، وَلَا عِنْدَ فِرَاقِ دُنْيَانَا النَّادِمِينَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ.

---

(١) المجموع شرح المهذب (١/ ١٢)

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٠) والطبراني في الأوسط (٩٢٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٠)

والله يعلم وأنتم لا تعلمون

يا ابن آدم لو كُشِفَ لك عما في الغيب، لم تختر غير ما اختاره الله لك، فكم من إنسان ما أتاه الغيث والغوث إلا بعدما أرعد القدر وأبرق فوق رأسه، فالمحن قد تكون مِنحًا، واللَّفحات يعقُبها النفحات، والكتاب والسنة والتاريخ دوِّنت فيهم وقائع لا تعَدُّ ولا تحَدُّ مما ظاهِرُها العذاب، وباطنها الرحمة والرزق والعُلوّ.

عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مُبْتَلًى بِعَافِيَةٍ لِيَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُ؟ أو مُبتلىً بِبَلِيةٍ لِيَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُهُ؟. (١)

قد يُنعِمُ اللهُ بالبلوَى وإنْ عَظُمتْ ... ويَبتلِي اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعَمِ

هي وقفات وجيزات مع قوله تعالى: {**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**} [البقرة: ٢١٦]

في هذه الآية عدَّة حِكمٍ وأسرارٍ ومصالحَ للعبدِ:

- فإن العبدَ إذا علِم أن المكروهَ قد يأتي بالمحبوبِ، والمحبوبَ قد يأتي بالمكروهِ؛ لم يأمَنْ أن تُوافيَهُ المَضرَّةُ مِن جانبِ المَسرَّةِ، ولم يَيأسْ أن تأتيَه المسرَّةُ مِن جانبِ المَضرَّةِ؛ لعدمِ عِلمهِ بالعواقِب؛ فإن اللهَ يعلمُ منها ما لا يعلمُه عبدُه. .

ومِن أسرارِ هذه الآيةِ: أنَّها تقتضي مِن العبدِ التَّفويضَ إلى مَن يَعلمُ عواقبَ الأُمور، والرِّضا بما يَختارُه له ويَقضيهِ له؛ لما يَرجو فيه مِن حُسنِ العاقبةِ.

ومِنها: أنَّه لا يقترحُ على ربِّه، ولا يَختارُ عليه، ولا يسألُه ما ليس له به عِلمٌ؛ فلعلَّ مضرَّتَه وهلاكَه فيه وهو لا يعلمُ! فلا يختارُ على ربِّه شيئًا؛ بل يسألُه حُسنَ الاختيارِ له، وأَن يُرَضِّيَه بما يختارُه؛ فلا أنفعَ له مِن ذلك.

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ٤٦)

ومنها: أنه إذا فوَّض إلى ربِّه، ورضِيَ بما يختارُه له؛ أمدَّهُ فيما يختارهُ له بالقُوَّةِ عليه والعزيمةِ والصَّبرِ.

فلا أنفعَ له مِن الاستِسلام، وإلقاءِ نفسِه بين يدي القدَر طريحًا كالمَيْتةِ؛ فإنَّ السَّبُعَ لا يَرضَى بأكلِ الجِيَفِ. (١)

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }

ما أجملَ أنْ تضع هذه الآية نصب عينيك عندما تواجه أمراً تكرهه، فأنتَ لا تدري أين الخير هل هو فيما تحب أو فيما تكره، فلا تنظر إلى ظاهر الأمور وتغفل عمَّا تنطوي عليه من الحِكَم والفوائد.

- **حينما أصدر فرعون** قراره بقتل من يولد لبني إسرائيل من الذكور، ووضع كل المحاذير حتى لا يفلت منهم أحد، وُلد موسى -عليه السلام- فقدَّر الله سبحانه أن يولد هذا المولود، ويربى في دار فرعون نفسه، وينشأ على فراشه، ويغذى بطعامه وشرابه، ثم يكون هلاكه في الدنيا والآخرة على يديه لتصل الرسالة لجميع الخلق: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} [يوسف: ٢١]

- **إخوة يوسف** - عليه السلام - أرادوا قتله فلم يَمُت، أرادوا محوَ أثره فارتفع شأنه وعلا نجمه، أرادوا بيعَه مملوكًا فأصبح ملكًا، أرادوا أن يُزيلوا محبته من قلب أبيهم فما ازداد أبوهم إلا حبًّا وشغفًا به، وكأن الله تعالى يقول: { لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [النور: ١١].

- **ويأتي موسى إلى الخِضر** - عليهما السلام - ويخرق الخضر السفينة، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، ويقتل الغلام فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، ويمنَع الرزق عن الأيتام ببناء

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص ١٣٦ - ١٣٨) باختصار

الجدار، والله يعلم وأنتم لا تعلمون؛ لأن ما أخفاه الله من لطفه بعباده أعظم وأعظم.

- **ثمامة بن أثال** ﷺ السيد في قومه يقع أسيرًا بيد النبي ﷺ وأصحابه فيحدث له ما تسمع، **فعن أَبي هُرَيْرَةَ** ﷺ، قال: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ))، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. (١)

---

(١) رواه البخاري (٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤)

- وهذه أمة سوداء يقع عليها الظلم الشديد فيكون ذلك سببا في نجاتها من الكفر، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ العَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا، فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ فوَقَعَ مِنْهَا، فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى، فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي المَسْجِدِ، فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، فَلاَ تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا. . . أَلاَ إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي[1]

- وهذا رسول الله ﷺ ذهب ليَعتمر فتعترضه قريش بصُلحِ الحديبية، فلم تَحصل لهم العمرة وضاق بعض الصحابة بهذا الصلح، ولكن الله سمَّاه فتحًا فقال تعالى: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح: ٢٧]

فعلم ما لم تعلموا، ما أجملَها من عبارة، وما ألطفَه من تقدير! وكما قال يوسف - عليه السلام -: { إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ } [يوسف: ١٠٠].

ومَن وقفَ مع كتاب الله وسنة النبي ﷺ وقرأ التاريخ الصحيح لرأى من ذلك عجبا عجابا ولكن هي إشارات وإلماحات.

وماذا بعـــدُ ، إذا تم علمك بالله وصحت معرفتك به سبحانه فلابد لك من عدة أمور

الأمر الأول: الرضا بالله وعن الله

ومعناه يجمع أمرين: الرضا بقضاء الله وقدره، والرضا بشرعه وأمره

---

(١) رواه البخاري (٤٣٩)

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)). (١)

قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ رحمه الله: مَتَى يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا؟ فَقَالَ: إِذَا أَقَامَ نَفْسَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أُصُولٍ فِيمَا يُعَامِلُ بِهِ رَبَّهُ، فَيَقُولُ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي قَبِلْتُ. وَإِنْ مَنَعْتَنِي رَضِيتُ. وَإِنْ تَرَكْتَنِي عَبَدْتُ. وَإِنْ دَعَوْتَنِي أَجَبْتُ. (٢)

قال ابن القيم رحمه الله: فمن صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب. . . ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة، فإنه لا يزال راضياً عن ربه، والرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين، فإنه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له، وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية، وهذا هو الرضا بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. (٣)

ولأننا نؤمن بقوله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام: ١١٥]

قال ابن كثير رحمه الله: أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ فَحَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، وَكُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ فَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا عَدْلَ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا نَهَى عَنْهُ فَبَاطِلٌ، فَإِنَّهُ لَا يَنْهَى إِلَّا عَنْ مَفْسَدة. (٤)

---

(١) رواه مسلم (٣٤)

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٧٢)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٩١)

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢)

ومقتضى الرضا أن لا تعترض على الله تعالى لا في قضائه وقدره ولا في أمره ونهيه

قال الحسن البصري رحمه الله: لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك. (١)

الأمر الثاني: التفويض إلى الله في جميع الأمور

ما أحوجنا أن نتلبس بهذه الآية في كل أمورنا {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: ٤٤]

فقد علمنا النبي ﷺ **أن نستخير الله في جميع أمورنا، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: ((إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)). (٢)

فلرُبَّ أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أَمْر تُحِبّهُ فيه عَطَبك، لذلك صدق من قال: مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ.

ففوِّض أمرك إلى الله في كل ما يَجري حولك، فكل شيء يسير وَفْقَ تقديره - عز وجل - وهو يعلم ونحن لا نعلم، وتأمّل في أمر يعقوب - عليه السلام - يوم أن خاف على يوسف أن يأكله الذئب؛ { وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } [يوسف:

---

(١) شفاء العليل (ص: ٣٤)

(٢) رواه البخاري (٦٣٨٢)

١٣]، ففقد يوسف وفقَد بصره، لكنه يوم أن فوَّض أمره إلى الله فقال: { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا } [يوسف: ٨٣] عاد له يوسف وعاد له بصره.

الأمر الثالث: الثقة بوعد الله وأنه لا يخلف الميعاد

قال تعالى { وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً } [النساء: ١٢٢]

فما الذي جعل أم موسى - عليهما السلام - تلقي بطفلها الرضيع بفلذة كبدها في غياهب اليم. . ؟. إنها الثقة بوعد الله لها، يخبرنا ربنا عن ذلك الوعد بقوله: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } [القصص: ٧]

وصدقها الله وعده بإرجاعه إليها: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص: ١٣]

وجعله من المرسلين، بل من أولي العزم منهم: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمر: ٢٠]

وهكذا كان يربي النبي ﷺ الصحب الكرام رضي الله عنهم على الثقة بوعد الله،

فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)). [١]

(١) رواه البخاري (٣٦١٢)

أمراض القلوب وعلاجها

منزلة القلب ومكانته أسباب فساد القلب علاج مرض القلب.

إن الناظر في حال مجتمعنا اليوم يجد أمرًا عجيبًا من انتشار كثير من المفاسد كالخيانة، والبغضاء، والحسد، والبغي، وحصول الهجران والقطيعة بين الناس وغير ذلك من الأمراض التي حلت بمجتمعنا، لو سَأَلتَ عن ذلك تجد أن من أعظم أسباب ذلك، فساد القلب، وإذا صلح قلب العبد صَلُحَ سائر الجسد ورُزِقَ صاحبه البشارة بالخير و ذاق حلاوة الإيمان في قلبه.

منزلة القلب ومكانته.

١-ملك الجوارح ومحركها:

فإن استقام قلب العبد استقامت جوارحه وإن اعوج اعوجت، **قال ابن القيم**: " ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذى تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبيﷺ: ((إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ))[1]. فهو ملكها، وهى المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما كان يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته. وهو المسؤول عنها كلها "لأن كل راع مسؤول عن رعيته" كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون. والنظر في

(١) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(١٠٧)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون[١]. وقال شيخ الإسلام: الْقَلْبُ هُوَ الْأَصْلُ فَإِذَا كَانَ فِيهِ مَعْرِفَةٌ وَإِرَادَةٌ سَرَى ذَلِكَ إلَى الْبَدَنِ بِالضَّرُورَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَخَلَّفَ الْبَدَنُ عَمَّا يُرِيدُهُ الْقَلْبُ[٢].

٢-محِل التقوى:

القلب له منزلة عظمى تفوق سائر أعضاء الجسد، وهو محِل امتحان تقوى العبد كما قال تعالى: { **أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**} [الحجرات: ٣]، وكقوله ﷺ: **((التقوى ها هنا، وأشار بيده إلى صدره، ثلاث مراتٍ))**[٣].

٣- محِل نظر الإله:

كما قال النبي ﷺ: **((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))**[٤].

قال المناوي: "فكم من ظريف اللسان جميل المنظر عظيم الشأن هالك غدا في القيامة لسوء عمله وكآبة منقلبه وقبح سيرته وسوء سريرته، فالقلب هو محل نظر الحق فلا عبرة بحسن الظاهر وزخرف اللسان مع خبث الجنان"[٥].

٤-تتفاوت الدرجات بتفاوت ما في القلوب:

قال ابن القيم: "إِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُوَرِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ، فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٧).

(٣) مسلم (٢٥٦٤)

(٤) أخرجه مسلم(٣٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) فيض القدير (٥/ ٥٠).

وَالرَّجُلاَنِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلاَتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"[١].

ومع عِظم منزلة القلب إلا أنه سريع التقلب من حال إلى حال، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: مَا آمَنُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا))[٢]. ولله در القائل:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ فَاحْذَرْ عَلَى القلب من قلبٍ وتحويل

وقال بعض السلف: مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن. ويكفى في هذا قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال: ٢٤]، فأي قرار لمن هذه حاله؟ ومن أحق بالخوف منه؟ بل خوفه لازم له فى كل حال وإن توارى عنه بغلبة حالة أُخرى عليه. وهذا الخوف ثمرة العلم بقدرة الله وعزته وجلاله، وأنه الفعال لما يريد وأنه المحرك للقلب المصرف له المقلب له كيف يشاءُ لا إِلَهَ إلا هو[٣]. نسأل الله السلامة.

أسباب فساد القلب:

إن الاهتمام بصلاح القلوب، والبحث عن أسباب فسادها أمرٌ في غاية الأهمية، فصلاح القلب يترتب عليه صلاح الأعمال والسلوكيات، وهناك كثير من الأسباب وراء فساد القلب وقسوته وغلظته منها:

١-الغفلة عن ذكر الله وتدبر القرآن، والتأمل في آياته الكونية:

"لقد أخبر ربنا تبارك وتعالى أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو حي القلب، كما قال سبحانه: {إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكرَى لمنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} [ق: ٣٧]. وقال تعالى

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة(٢٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٤٧).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٢٨٣).

{يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لما يُحِييكُمْ} [الأنفال: ٢٤]. فأخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هي بما يدعونا إليه الله والرسول من العلم والإيمان.

وقال ابن القيم: " فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه. فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً"[١]. **وقد توعد الله أصحاب هذه القلوب وعيداً شديداً فقال**{فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الزمر: ٢٢].

٢-البعد عن الحق بعد معرفته:

قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]، وقال سبحانه: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}[الصف: ٥]

أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان[٢]. فعاقبهم سُبْحَانَهُ بإزاغة قُلُوبهم عَن الْحق لما زاغوا عَنهُ ابْتِدَاءً، وَلِهَذَا قيل من عرض عَلَيْهِ حق فَرده فَلم يقبله عُوقِبَ بِفساد قلبه وعقله ورأيه[٣].

٣-كثرة الذنوب والمعاصي:

ومن أدمن الذنوب واستسهلها بلغ به الحال كما أخبر النبي ﷺ بقوله((وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا))[١]. فهذا يموت قلبه، ويَتَلَبَّد إحساسه، فلا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا[٢].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٠)، لابن القيم.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩).

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٩٩).

قال المحاسبي: "اعلم أنَّ الذنوب تورث الغفلة، والغفلة تورث القسوة، والقسوة تورث البعد من الله، والبعد من الله يورث النار"(٣).

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذُّل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

ومن أعظم الذنوب إفسادًا للقلب النظر لما حرم الله، فالْبَصَرُ هُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِّ إِلَيْهِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ كَثُرَ السُّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ. وَوَجَبَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، وَغَضُّهُ وَاجِبٌ عَنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكُلِّ مَا يُخْشَى الْفِتْنَةُ مِنْ أَجْلِهِ(٤).

٤-الانشغال بالدنيا والانهماك في طلبها والمنافسة عليها:

قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}[النازعات: ٣٧ - ٣٩].

قال ابن القيم: "متى رأيت القلب قد ترَحَّلَ عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل فيه حبُ المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فالعلم أنه قد خُسَفَ به. ومتى أَقحَطَت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب وأبعد القلوب من الله القلب القاسي"(٥).

٥-كثرة الأماني وطول الأمل:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) وانظر كتاب ذنوب الخلوات أصل الانتكاسات، لمصطفى دياب ص٥٩.

(٣) رسالة المسترشدين (ص: ١٥٤)، للحارث المحاسبي.

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣).

(٥) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤)، لابن القيم.

قال تعالى: { وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [الحديد: ١٤]

قال قتادة: "في قوله تعالى: (وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ)، أي: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. وقوله: (وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) يقول: وخدعكم بالله الشيطان، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته، والسلامة من عذابه"(١).

وفي الحديث: " لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ "(٢).

قال المناوي: "طول الأمل غرور وخداع إذ لا ساعة من ساعات العمر إلا ويمكن فيها انقضاء الأجل فلا معنى لطول الأمل المورث قسوة القلب وتسليط الشيطان وربما جر إلى الطغيان"(٣).

٦-كثرة الجدال والتعصب للرأي واتباع الهوى:

قال الله تعالى محذرًا نبيه ﷺ وأمته: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: ٢٨]، وقال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣]

وقال الشافعي: " **الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُوَرِّثُ الضَّغَائِنَ** "(٤).

٧-التوسع المذموم في المباحات:

كالأكل والشرب والنوم والكلام، فإذا تجاوزت حاجة المرء كان لها تأثيرًا سلبيًا على قلبه، وقد نهى ربنا تبارك وتعالى عن التفريط في المباحات والإسراف فيها فقال سبحانه: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، **قال**

---

(١) تفسير الطبري(٢٣/ ١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢٠).

(٣) فيض القدير (٥/ ٤١٧).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٥٤).

الغزالي: "في كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب"(١).

وقال ابن القيم: "من مفسدات القلب كَثْرَةُ النَّوْمِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُثَقِّلُ الْبَدَنَ، وَيُضِيعُ الْوَقْتَ، وَيُورِثُ كَثْرَةَ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ، وَمِنْهُ الْمَكْرُوهُ جِدًّا، وَمِنْهُ الضَّارُّ غَيْرُ النَّافِعِ لِلْبَدَنِ، وَأَنْفَعُ النَّوْمِ مَا كَانَ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَّةِ"(٢).

وقال أبو سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ: "إِنَّ النَّفْسَ إِذَا جَاعَتْ وَعَطَشَتْ صَفَا الْقَلْبُ وَرَقَّ، وَإِذَا شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ عَمِّي الْقَلْبُ وَبَادَ". وَالشِّبَعُ الْمُفْرِطُ يُثْقِلُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا، فَنَامَ كَثِيرًا، فَخَسِرَ كَثِيرًا(٣).

٨-كثرة مخالطة الناس في غير مصلحة:

لا شك أن المرء يأخذ من سلوكيات من حوله من الناس ويتأثر بهم، فإن كانوا صالحين أخذ من صلاحهم وإن كانوا غير ذلك تأثر بهم إلا من عصمه الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: ((الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))(٤)، فإن اتخذ صالحاً خليلاً يكون هو صالحاً، وإن اتخذ فاسقاً يكون هو فاسقاً. ولله در القائل:

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٨٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٦).

(٣) انظر الجوع لابن أبي الدنيا (ص: ١٨٨)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، وحسنه الألباني في المشكاة(٥٠١٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وللقلب على القلب دليلٌ حين يلقاه[١].

قال الغزالي: "الطِّبَاعُ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالاِقْتِدَاءِ بَلِ الطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي صَاحِبُهُ فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا"[٢].

علاج مرض القلب:

لا يمكن أن يستقيم قلب العبد على الإيمان حتى يكون سليمًا من الشبهات والشهوات، لأن سلامة القلب وخلوصه سبب في سعادة الدنيا والآخرة، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }[الشعراء: ٨٨-٨٩]. بل إن سليم القلب أخبر النبيﷺ أنه أفضل الناس، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوﷺ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ". قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ"[٣].

ومن الأمور التي تعين على صلاح القلب:

١-قراءة القرآن وتدبره والتفكر فيه:

وقد أمر الله عز وجل الناس بعبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا يحدث ذلك إلا بتدبر آياته كما أمر بذلك سبحانه في كتابه فقال: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ } [المؤمنون: ٦٨]، **ولا ريب أن تدبر القرآن من أنفع العلاج لأمراض القلوب** وقد أخبر سبحانه بذلك في

(١) ديوان علي بن أبي طالب (ص: ١٧٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وقال الألباني في الصحيحة(٩٤٨): إسناده صحيح رجاله ثقات.

قوله: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]

قال السعدي: هذا القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة. وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده(١).

وقال إبراهيم الخوَّاص: " دَوَاءُ الْقَلْبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ، قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُرِ وَخَلاءُ الْبَطْنِ وَقِيَامُ اللَّيْلِ وَالتَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ "(٢).

٢-ذكر الله تعالى:

فقد أخبر سبحانه أنه لا اطمئنان لقلب المرء إلا بذكره فقال: { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]. فبذكره سبحانه دون غيره تسكن القلوب أنسا به، واعتمادا عليه(٣).

وقد أمر سبحانه عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب: ٤١] قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: "إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله؛ فقال: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ } [النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السر والعلانية وعلى كل حال(٤).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٦٧).

(٢) ذم الهوى (ص: ٧٠)، لابن الجوزي.

(٣) محاسن التأويل (٦/ ٢٨٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٣).

وقال مكحول: "ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء"(١).

٣- الدعاء والتضرع إلى الله:

فالدعاء من أفضل العبادات، والقلوب بيد الله عز وجل يقلبها كيف يشاء، ويصرفها كيف يشاء، فلابد للمرء أن يسأل الله التثبيت لقلبه، وهذا من هدي النبيﷺ، حيث يقول: ((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))(٢). وقال((اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ))(٣). فإذا كان هذا هو حال نبيناﷺ مع عِظَمِ قدره ومنزلته عند ربه، فنحن أولى بذلك اقتداءً به ﷺ. وقد ذكر ربنا تبارك وتعالى من دعاء المؤمنين في قوله: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨].

٤- ومن الأمور التي تعين على إصلاح القلب إخفاء العمل والخلوة المشروعة، فلا بد للعبد أن يكون له مجالس يخلو فيها بذكر ربه، وتعداد ذنوبه ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وطلب المغفرة من ربه. قال شيخ الإسلام: "وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ أَوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَصَلاَتِهِ وَتَفَكُّرِهِ وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَإِصْلاَحِ قَلْبِهِ"(٤). وقال أبو الدَّرْدَاءِرضي الله عنه: "نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ، يَحْفَظُ فِيهَا لِسَانَهُ وَبَصَرَهُ"(٥).

٥- اعتزال أماكن الفتن والشهوات، فهي تدمر القلب تدميرًا:

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧١)، لابن القيم.

(٢) أخرجه الترمذي(٢١٤٠)، من حديث أنس، وفي بابه أربعة أحاديث عن النواس ، وأم سلمة ، وابن عمرو ، وعائشة وصححه الألباني في المشكاة(١٠٢).

(٣) أخرجه مسلم(١٧)، من حديث أبي هريرةرضي الله عنه.

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ١٦٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٧٣٨).

وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ أمتَه الفتن فقال: ((**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**))[1].

قال النووي: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر"[2].

٦- تعظيم شعائر الله تعالى:

قال تعالى: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: **٣٢**]

فَالْمَقْصُودُ تَقْوَى الْقُلُوبِ لِلَّهِ وَهُوَ عِبَادَتُهَا لَهُ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ. بِغَايَةِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَالْعُبُودِيَّةُ فِيهَا غَايَةُ الْمَحَبَّةِ وَغَايَةُ الذُّلِّ وَالْإِخْلَاصِ وَهَذِهِ مِلَّةُ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ. وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ عِبَادَةَ الْقُلُوبِ هِيَ الْأَصْلُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: {إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}[3].

يريد المرء أن تؤتى مُنَاه. . . ويأبى الله إلا ما أراد

يقول المرء فائدتي ومالي. . . وتقوى الله أفضل ما استفاد.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٢٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٨٥).

ملف العدد

[وسطية أهل السنة]

إن الله تبارك وتعالى قد خلق عباده حنفاء موحدين فلم يزل الشيطان بهم حتى أشركوا مع الله غيره، وتفرقوا واختلفوا حتى كان حالهم قبيل بعثة النبي كما في حديث عِيَاض بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. .[1]

فلما أرا الله الهداية للناس أرسل نبيه الخاتم على رأس الأمة الخاتمة التي جعل من خصائصها أنها أمة وسط {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**} [البقرة: ١٤٣]

ثم قدر الله عز وجل أن يقع التفرق والاختلاف في هذه الأمة، ورغم أن التفرق والاختلاف واقع في المسلمين كونًا فإنه ليس مقصدًا شرعيًا؛ فإن الشارع الحكيم قد أمر بخلافه من الوحدة والاتحاد، ولكن ليس على أي منهج ولا على أية طريقة بل على صحيح الدين وسليم المعتقد.

قال تعالى: {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**} [آل عمران: ١٠٣]

وقال تعالى: {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [الأنعام: ١٥٣]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥)

وقال {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم: ٣١، ٣٢]

وإن الله لما قدر وقوع الخلاف في الأمة فإنه قد هيأ أسباب الحفظ لهذا الدين

١- فحفظ القرآن العظيم من التبديل والتغيير.

٢- وحفظ السنة فهيأ لها رجالا ميزوا صحيحها من سقيمها.

٣- وحفظ الفهم الصحيح والفئة القائمة عليه وهم أهل السنة وهم الطائفة المنصورة.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (١)

وقد شاء الله تبارك وتعالى لأهل السنة أن يحملوا لواء هذا الدين وأن يحافظوا على خصيصة هذه الأمة التي هي سبب خيريتها وهي الوسطية؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقة الناجية " أهل السنة " وهم وسط في النحل؛ كما أن ملة الإسلام وسط في الملل. (٢)

وقد كثر الخلط في معنى الوسطية ، وكل طائفة تدعي وسطية تتوافق مع أهوائها ومرادها، فأهل الهوى يريدون وسطية تتناسب مع معتقداتهم ،وأصحاب الفجور يريدون وسطية تبيح فعالهم، وأهل البدع نصبوا أنفسهم على الأمة أنهم أهل الوسطية والاعتدال ووالله إنهم أهل للانحراف، وغيرهم كثير والكل محجوج بمسمى الوسطية الصحيح الذي بينه ربنا في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ليس لأحد أن يخرج عن الاصطلاح الصحيح ولا أن يختزل الشرع في قول واصطلاح قبيح .

فمن هم أهل السنة؟ وما هي الوسطية التي يتصفون بها؟

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر (١٥٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٠)

أولا: أهل السنة هم:

١- أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم تلقوا عنه مباشرة أمور الاعتقاد كما تلقوا أمور العبادة، فهم أعرف الخلق بسنة نبيهم وأتبعُ لها ممن جاء بعدهم.

٢- التابعون لهم بإحسان، المقتفون آثارهم في كل عصر ومصر، وعلى رأسهم أهل الحديث والأثر، الذين نقلوا إلينا سنة رسول الله ﷺ وميزوا صحيحها من سقيمها، وعملوا بها واعتقدوا ما دلت عليه.

قال ابن حزم: وَأهل السّنة الَّذين نذكرهم أهل الْحق وَمن عداهم فَأهل الْبِدْعَة فَإِنَّهُم الصَّحَابَة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خِيَار التَّابِعين رَحْمَة الله عَلَيْهِم ثمَّ أَصْحَاب الحَدِيث وَمن اتبعهم من الْفُقَهَاء جيلاً فجيلاً إِلَى يَوْمنَا هَذَا أَو من اقْتدى بهم من الْعَوام فِي شَرق الأَرْض وغربها رَحْمَة الله عَلَيْهِم. (١)

قال ابن رجب: وَالسُّنَّةُ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ التَّمَسُّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ الْكَامِلَةُ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ قَدِيمًا لَا يُطْلِقُونَ اسْمَ السُّنَّةِ إِلَّا عَلَى مَا يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ. (٢)

وأهل السنة لهم أسماء كثيرة فهم:

١- أهل السنة والجماعة. ٢- السلف الصالح. ٣- الفرقة الناجية.

٤- أهل الحديث والسنة. ٥- أهل الأثر. ٦- الطائفة المنصورة.

وقد رَمي أعداءُ السنة أهلَ السنة قديمًا وحديثًا بالألقاب الشنيعة والصفات المنفرة كي يصرفوا الناس عن منهجهم وطريقته التي هي سنة النبي ﷺ وأصحابه وطريقة السلف الصالح وتابعيهم.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٠)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٠)

ومن الأسماء التي رمي بها أهل السنة: المشبهة - الحشوية - النابتة أو النوابت- المجسمة. . . . . إلى آخر ذلك من الأسماء المفتراة؛ فما أبعدهم عن قوله تعالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [الحجرات: ١١]

ثانيا: المفهوم الصحيح للوسطية

إن المفهوم الصحيح للوسطية يدور حول معاني العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط والغلو والتقصير

وسطية أهل السنة

أولا أهل السنة في مسائل في عقيدهم

إن الخلاف بين أهل السنة وغيرهم إنما هو في الأساس خلاف عقدي لأن العقيدة هي أساس الدين ولبُّه؛ قال ابن رجب: وكثير من العلماء المتأخرين يَخصُّ السنة بما يتعلَّق بالاعتقاد؛ لأنَّها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم.[1]

وقد سلك أهل السنة والجماعة في عقيدتهم المسلك الوسط الذي هو عقيدة النبي صلى الله وأصحابه ومن سار على نهجهم من السلف الصالح قبل ظهور البدع الكلامية وتسرب الفلسفات إلى علم العقيدة، فكان من دلائل وسطيتهم في

١- باب التوحيد: أنهم يؤمنون أن الإيمان بالله: هو الإقرار بربوبيته وإلاهيته يعني الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة واعتقادها والعمل بها وهي توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات فتوحيد الربوبية معناه توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنه رب كل شيء ومليكه، وتوحيد الألوهية معناه

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٠).

إفراده بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه إذا كان مما شرعه الله، كالدعاء والخوف والرجاء والمحبة والذبح والنذر والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والصلاة والصوم والحج والإنفاق في سبيل الله وكل ما شرعه الله وأمر به لا يشركون مع الله غيره فيه لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم. وتوحيد الأسماء والصفات معناه: إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات وتنزيه الله عما نزه عنه نفسه أن نزهه عنه رسوله من العيوب والنقائص من غير تمثيل ولا تشبيه ومن غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل كما قال تعالى: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**} [الشورى/ ١١]. وكما قال تعالى: {**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**} [الأعراف/ ١٨٠].

ومن أصول أهل السنَّة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فليس الإيمان قولاً وعملاً دون اعتقاده، لأن هذا إيمان المنافقين، وليس هو مجرد المعرفة بدون قول وعمل لأن هذا إيمان الكافرين الجاحدين. قال تعالى: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**} [النمل/ ١٤].

٢- وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة بين الخوارج والمرجئة

مذهب أهل السنَّة في حكم مرتكب الكبيرة وسط بين الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة وبين المرجئة الذين يقولون هو مؤمن كامل الإيمان ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ويعتقد أهل السنة أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ويعتقدون أن أهل الكبائر من الأمة لا يخلدون في النار -إذا ماتوا موحدين- وإن لم يكونوا تائبين؟ فهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم بفضله وإن شاء عذبهم بعدله.

٣- أهل السنة لا يكفرون مخالفيهم لمجرد أن المخالف يكفرهم

يقول شيخ الإسلام: فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى. (١)

فيعتقد أهل السنة أن التكفير من الأحكام الشرعية التي لا تثبت إلا بالكتاب والسنة ولا يصار إليها بمجرد الظن والهوى، فهذا من أعظم القول على الله بلا علم، وقد قال رب العزة: **{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [الأعراف: ٣٣].

وقال ابن القيم: وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقا أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقا جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان فهؤلاء غلوا وهؤلاء جفوا وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في إذنه كالإسلام في الملل فها هنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك وفسوق دون فسوق وظلم دون ظلم. (٢)

ثانيا: وسطية أهل السنة في مصدرية التلقي

يقتصر أهل السنة في تلقي دينهم ومنهجهم على كتاب الله عز وجل وعلى ما صَحَّ من سنة رسول الله ﷺ وإن كان خبر آحاد طالما صحت نسبته لرسول الله ﷺ فيعملون به في العقائد والأحكام وفي شتى فروع الدين.

واقتصار أهل السنة في تلقيهم على الوحي كتابا وسنة يقوم على ركائز مهمة:

---

(١) الرد على البكري (ص: ٢٦٠)

(٢) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم (ص: ٥٨)

الركيزة الأولى: اعتقاد كمال المنهج الإسلامي وعدم حاجته للمناهج البشرية، {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا**} [المائدة: ٣]؛ قال شيخ الإسلام: وَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ الدِّينَ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ. (١)

الركيزة الثانية: وجوب الطاعة المطلقة والتسليم المطلق لله ورسوله

التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا فلا يعارضون شيئا من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشفٍ مزعوم ولا قول شيخ أو إمام أو غير ذلك.

بل مستندهم قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**} [النساء: ٥٩]

قال شيخ الإسلام: فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي عليها ويعادي غير النبي ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلاماً يفرقون به بين الأمة. (٢) يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون.

الركيزة الثالثة: طريقتهم في العلم هي النقل والعقل تابع للنقل وليس مقدمًا عليه

يؤمن أهل السنة بأن وظيفة العقل فيما ورد به الشرع كتابًا أو سنة، هو فهمه والتسليم له، ولا يثبت قدمٌ على الإسلام إلا بذلك، وقد جاءت نصوص كثيرة توجب اتباعَ الكتاب والسنة، وتحذر من التقديم بين يدي الله ورسوله برأي أو اقتراح يصادم

---

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٤١١)

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٢)

ما ورد فيهما[١]، قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [الحجرات: ١] وقال سبحانه: {**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**} [الأعراف: ٣]، وقال جل وعلا: {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**} [آل عمران: ٣١]، وقال عز وجل: {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [الأنعام: ١٥٣]، وقال جل جلاله {**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**} [النساء: ٥٩]

يقول أبو المظفر السمعاني: وَإِذا ثَبت أَنا أمرنَا بالاتباع والتمسك بأثر النَّبِي ﷺ وَلُزُوم مَا شرعة لنا من الدّين وَالسّنة وَلَا طَرِيق لنا إِلَى الْوُصُول إِلَى هَذَا إِلَّا بِالنَّقْلِ والْحَدِيث بمتابعة الْأَخْبَار الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَات والعدول من هَذِه الْأمة عَن رَسُول الله ﷺ وَعَن الصَّحَابَة وَمن بعده. [٢]

الركيزة الرابعة: تقديم فهم الصحابة والسلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة

يعتقد أهل السنة أن المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها، وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم.

قال ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) في بيان وجوب اتِّباع الصحابة: الْبَاب الثَّانِي فِي بَيَان وجوب اتباعهم والحث على لُزُوم مَذْهَبهم وسلوك سبيلهم وَبَيَان ذَلِك من الْكتاب وَالسّنة وأقوال الْأَئِمَّة

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٦)

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث (ص: ٤).

وَأما الْكتاب فَقَوْل الله تَعَالَى {**وَمن يُشَاقق الرَّسُول من بعد مَا تبين لَهُ الْهدى وَيتبع غير سَبِيل الْمُؤمنِينَ نوله مَا تولى ونصله جَهَنَّم وَسَاءَتْ مصيرا**} [النِّسَاء ١١٥] فتوعد على اتِّبَاع غير سبيلهم بِعَذَاب جَهَنَّم ووعد متبعهم بالرضوان وَالْجنَّة فَقَالَ تَعَالَى {**وَالسَّابِقُونَ الْأَولونَ من الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار وَالَّذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَان رضي الله عنهم وَرَضوا عَنهُ**} [التَّوْبَة ١٠٠] فوعد المتبعين لَهُم بِإِحْسَان بِمَا وعدهم بِهِ من رضوانه وجنته والفوز الْعَظِيم. (١)

وقال ابن عبد الهادي ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه. (٢)

ثالثا: وسطية أهل السنة في الحكم على الناس

إن منهج أهل السنة والجماعة قائم على الحكم على الناس بالعدل والإنصاف فلا يبخسون أحدًا حقه، وهم ويضعون الأخطاء في حجمها الحقيقي فلا يتساهلون في عظيمها ولا يعظِّمون حقيرها وما كان عن غير قصد وعمد، وهم قد أخذوا هذا المنهج من نصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**} [المائدة: ٨]

قال الطبري: يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، لِيَكُنْ مِنْ أَخْلاَقِكُمْ وَصِفَاتِكُمُ الْقِيَامُ لِلَّهِ، شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ فِي أَوْلِيَائِكُمْ وَأَعْدَائِكُمْ، وَلَا تَجُورُوا

(١) ذم التأويل لابن قدامة (ص: ٢٨)

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص: ٣١٨)

فِي أَحْكَامِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتُجَاوِزُوا مَا حَدَّدْتُ لَكُمْ فِي أَعْدَائِكُمْ لِعَدَاوَتِهِمْ لَكُمْ، وَلَا تَقْصُرُوا فِيمَا حَدَّدْتُ لَكُمْ مِنْ أَحْكَامِي وَحُدُودِي فِي أَوْلِيَائِكُمْ لِوَلَايَتِهِمْ. .(١)

وأخرج البخاري في صحيحه قصة الحديبية ومسير النبي ﷺ إليها، وفيها: وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلأَتْ القَصْوَاءُ، خَلأَتْ القَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا خَلأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ. .(٢)

وقد ذكر الحافظ ابن حجر من فقه هذا الحديث: جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ عليه غيره فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها. (٣)

ولما أرسل حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ أناسا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ. (٤)

فلا يتكلم أهل السنة في أحد إلا بعلم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع. (٥)

رابعا: وسطية أهل السنة في الصحابة وآل البيت والأولياء

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٢٢)

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٣٣٥)

(٤) جزء من حديث علي بن أبي طالب مرفوعا، أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)

(٥) (منهاج السنة النبوية ٤/٣٣٧.)

١- وسطية أهل السنة في آل البيت

يعتقد أهل السنة وجوب محبة آل بيت رسول الله -ومنهم أزواجه-ويتولونهم ويرقبون فيهم وصية رسول الله ﷺ الذي قال: أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي.(١)

وهم في محبتهم لآل بيت رسول الله وسط بين غلو الروافض وجفاء النواصب، ومع محبتهم لآل بيت رسول الله ﷺ فلا يغالون في محبتهم ولا يعتقدون فيهم العصمة ولا في أحد بعد رسول الله ﷺ ولا يصرفون لهم أي نوع من العبادة كالدعاء أو الخوف والرجاء أو غير ذلك، ولا يعتقدون فيهم الضر والنفع؛ قال تعالى: {**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**} [الأعراف/١٨٨].

٢- وسطية أهل السنة في الصحابة

مذهب أهل السنة والجماعة فيهم وسط بين طرفيها الإفراط والتفريط وسط بين المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى ما لا يليق إلا بالله أو برسله وبين المفرِّطين الجافين الذين ينقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الغلاة والجفاة يحبونهم جميعا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ولا يقصرون بهم عما يليق بهم فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون إما مصيبون فلهم أجر الاجتهاد والإصابة وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، وليسوا معصومين بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ولهم من الله المغفرة

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

والرضوان، وكتب أهل السنة مملوء ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق هؤلاء الصفوة المختارة من البشر لصحبة خير البشر ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين. (١)

قال الطحاوي رحمه الله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

وعلق ابن أبي العز على هذا الكلام فقال: يشير الشيخ إلى الرد على الروافض والنواصب. (٢)

٣- وسطية أهل السنة في الأولياء

يعتقد أهل السنة أن الأولياء هم أهل التقوى والإيمان، المستقيمون على الحق، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن والسنة؛ قال تعالى: {**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [يونس: ٦٢]

ويقر أهل السنة بكرامات الأولياء موقفهم من الكرامة وسط بين إنكار الجافين، وتوسع الغالين.

قال الطحاوي رحمه الله: ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم. (٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: من أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة. (٤)

---

(١) انظر: عقيدة أهل السنة في الصحابة لعبد المحسن العباد (ص: ١٦- ١٧)

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٧)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٩٤)

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦)

خاتمة (بشرى لأهل السنة)

لقد بشر رسول الله ﷺ ببقاء وظهور أهل السنة الذين هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة؛ عن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ. (١)

وإذا نظرنا إلى المحن التي ابتلي بها أهل السنة والابتلاءات التي تعرض لها أهل الحق لرأينا كيف أخرجهم الله منها كالذهب لا تزيده النار إلا نقاء وبريقا، ولعلمنا يقينا صدق هذا المنهج الذي جعل الله من خصائصه أنه منهج ظاهر عليه نور من الله؛ وصدق أبو المظفر السمعاني(٢) إذ يقول: إن على الْحق نورا وَلَا يبصر نور الْحق إِلَّا من حشي قلبه بِالنورِ(٣) {**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**} [النور: ٤٠]

والحمد لله أولًا وآخرًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٢٠)

(٢) هو: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)

(٣) الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (ص: ٢)

جدول المحتويات

الرسائل المهمة إلى دعاة الأمة المحمدية (٣) ٢
المساجد وإصلاح المجتمعات..... ٥
الأمنيات بين الممنوع والمشروع ١٨
والله يعلم وأنتم لا تعلمون..... ٢٩
أمراض القلوب وعلاجها..... ٣٦
ملف العدد..... ٤٧
[وسطية أهل السنة]..... ٤٧